

العمل والإنتاج .. أساس في بناء الحضارة



إنَّ المنهج القرآني يدعو إلى العمل والإنتاج والسعى في الأرض، يقول تعالى: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (الرحمن/10). وَقَدْ رَفِيَهَا أَقْوَاتَهَا (فصلت/10). فَإِمْشُوا فِي مَذَادِكَبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ (الملك/15). هُوَ أَزْشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيَهَا (هود/61).

فالآية الأولى تنص على أنَّ الأرض وما فيها من خيرات وُضعت للأنام، للناس وللأحياء جميـعاً، وإنَّ إِن سبحانه قد أودع في هذه الأرض ما يحتاجه الناس والأحياء من: (الغذاء، والخيرات، والمعادن، والمياه.. إلخ).

ذلك ما نقرأه في بيان الآية الكريمة: وَجَعَلَ فِيَهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيَهَا وَقَدْ رَفِيَهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ (فصلت/10)، فالآية توضح أنَّ إِن سبحانه قد رَفِيَها ما تحتاجه الأحياء من القوت، وبارك فيها، والمباركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ثمَّ هي سواء للسائلين، أنَّ تلك المنافع والخيرات هي عامَّة للجميع من غير تفريق: سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ.

الكلَّ محتاج للقوت، الناس والحيوان والأحياء جميـعاً، والقرآن يدعو إلى السعي في الأرض والعمل والإنتاج، وكسب الرزق بقوله: فَإِمْشُوا فِي مَذَادِكَبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ (الملك/15).

ثمَّ يوضِّح القرآن للإنسان أنَّ إِن سبحانه خلقه من تراب الأرض، واستعمره في هذه الأرض، أي أوكل إليه أمر إعمارها وأحيائها، والإعمار ضد الخراب، وهو واضح الدلالة.. فالأرض تُعمَّر بالعمل، والعلم، والإيمان، والإنتاج، والإحياء، ومكارم الأخلاق. في كلَّ مجال من مجالات الإنتاج وإدامة العمـرـان والإحياء، وحـماـيتها من الخراب والدمـارـ.

وبينه القرآن عن تخريب الأرض وتدمير خيراتها بقوله: **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** **بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَاعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ** (الأعراف/ 56)، وتケفلت قوانين العقوبات في الإسلام بمعاقبة المُخربين والمُفسدين في الأرض، وتتحدد الآية (32) من (سورة الزخرف) عن المعيشة والاختلاف في الطاقات والمهارات، والقدرة على الانتاج المادي والأدبي والخدمي، وتبادل المنافع بين أفراد المجتمع ومؤسّساته التي ينتجها الأفراد والجماعات لتكامل الحياة الاجتماعية، وتتسدّد الحاجات المختلفة، وذلك ما تبيّنه الآية الكريمة: **أَهُمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ زَحْنُ قَسَمْذَا بَزْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَدَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهِ دَرَجَاتٍ لِيَتَذَكَّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** (الزخرف/ 32).

وفي السياق نفسه نقرأ الدعوة للتخلي عن أن يكون **هُمُّ النَّاسِ** جمع إنتاجهم، وتكريسه، وحرمان الآخرين منه. ذلك ما نقرأه في قوله تعالى: **وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** (الزخرف/ 32)، **تَرَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى** (المعارج/ 17 - 18).